لا شيء أغرب..

شعر

محمد الأخضر سعداوي



منشورات السائحي

إهـــــــداء ٢٠٠٨

وزارة الثقافة

الجمهورية الجزائرية

لا شيء أغرب..

شعر

محمد الأخضر سعداوي



بسم الله الرحمن الرحيم



منشورات السائحي

- الجزائر -

الطبعة الأولى

2007 – 1428

الإيداع القانوني: 4442 - 2007

ردمك: 978-9947-22-044-3

ص.ب: 552 القبة - الجزائر

هاتف/فاكس: 86 80 29 21 (213)

محمول: 55 97 19 70 (213)

بريد إلكتروني: Msaihi_publisher@hotmail.com

إهداء

إلى الشمس

التي لم تشرق بعد..

ولم تغبْ يوماً

محمد الأخضر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

حين قدم لي الشاعر «محمد الأخضر سعداوي» ديوانه المخطوط «لا شيء أغرب..» لأكتب له مقدمة تذكرت مقولة الشاعر الفرنسي «جان كوكتو» والتي تقول:

«الكتابة ليست سجادة فارسية يسير فوقها الكاتب، فالكاتب يشبه الحيوان البري الذي كلما طارده الصيادون كتب أفضل»، واختياري لهذه المقولة لم يحدث اعتباطاً ولا جاء صدفة، بل صدر عن وعي وتفكير، فأنا أذكر كيف كان الشاعر –ولا يزال– يشق طريقه في صمت رغم العوائق والمشكلات التي كانت تَشْمَخِرُّ أمامه كالجنادل تمنع تدفق أموائه، ولكنَّه

استطاع أن يستحدث لنفسه طريقة يعبِّر
بها عن ذاته، لقد وقفت العوائق ضد
«طرفة» و«الشابي» و«لامارتين» كما
وقفت ضد البلابل والنوارس والطيور،
لكن منطق الحياة وناموسها يتغلّب دائماً
لصالح الخير والحق والجمال.

ولا شيء أغرب من إغلاق النوافذ
أمام المواهب الشابة بِحُجَّةٍ وبغير حجة،
فمنطق الحياة يقول بضرورة فتح الأبواب
على مصراعيها ما دامت هذه المواهب

تمارس طقوس الإبداع، وتعبِّر بصدق وعفوية عن عصرها، فلا شيء أغرب من مصادرة الكلمة الجميلة وسرقة الجمال من الزهور النائمة.

هذا ما كان مع الشاعر «محمد الأخضر» فقد أصدر ديوانه الأول «صرخة الميلاد» سنة 2003م وله قبل هذا «قصة المجد» وهي تمثيلية للأطفال ومجموعات شعرية مخطوطة، وهاهو اليوم يقدِّم للقارئ ديوانه الجديد «لا شيء أغرب..».

وحين شرعت في قراءة قصائد هذا
الديوان وجدت بيني وبينها وشائج قربى،
فالشاعر يستعيد صور الحياة في مدينة
تُقُّرْت بكل ما فيها من قسوة ورِقّة،
وسذاجة وعمق معتمداً على ذاكرة
حادة، ومخيِّلة جريئة متحرِّرة، يعود بنا
إلى زمن الطفولة الجميل إلى شارع
«النَّعْوِي» ولعبة «الطارة» واحتفالات
«شايب عاشوره» و«حي مستاوه»
العريق، فتغدو هذه الكلمات علامات

تثير الخيال، وتجعلني أستحضر الصور والأمكنة، والأشخاص والأشياء، والزمن والطفولة، لأنني أشترك مع الشاعر في هذا الإطار المكاني.

وليس غريباً أن يشدو «محمد الأخضر سعداوي» بالشعر بهذه الطريقة وبهذا الأسلوب فهو ينتمي إلى بيئة مكانية أنجبت شاعرين كبيرين كان لهما فضل في دفع الحركة الشعرية إلى الأمام وهما الشاعر «محمد الأخضر السائحي

الكبير» رحمه الله، و«محمد الأخضر عبد القادر السائحي» مد الله في عمره.

ومما يستلفت النظر في هذا القبيل أن هذه البيئة الصحراوية كانت بيئة معطاءً قدَّمت للأدب الجزائري أسماءً هي اليوم كالمنارات في الدياجير، فمنها من قضى نحبه ومنها من هو باق على الطريق.

وأخيراً ليس يكفي أن نشهد لشاعرنا بالعاطفة الصادقة الفيَّاضة حين تحدَّث عن أوجاعه وأحزانه في زمن

الفواجع والمواجع، بل لأَبُدَّ من أن نقدِّم في المستقبل دراسة شاملة لشعره حتى لا نقع في دائرة المثل الشعبي القائل: «كِي كَانْ حَيٌّ كَانْ مْشْتَاقْ تَمْرَة، أُو كِي مَاتْ عَلْقُوا لُو عَرْجُونْ».

ورقلة في:20 رمضان 1428هـ

أ.د: العيد جلولي.

مدخل

مَدِّدْ جِراحَك واعبُرْ جِسرَها الآنا
واشْدُدْ أنينَك أبدِعْ مِنْـهُ ألْحانـا
الشعرُ أكبرُ مِنْ إيحـاء خاصـرةٍ
أو لَعْـقِ أحذيـةٍ نَيْـسانُها آنـا
الشعرُ قافلـةٌ حُبْلَـى مَـسالكُها
في البيدِ مُبْحِرةٌ تَجْتـاح أزمانـا

تمشي وجَمْرُ الرمْلِ اشتدَّ مَــسْغبَةً

لِلْحاملين لِــواءَ الحَــرفِ عُنوانــا

الرَّاحِلين وفي الأوطــان غُربَتــهُمْ

الشامِخين نخَــيلاً عــاشَ ظمْآنــا

مرفأ الذكريات

إليها أسافرْ

وفيها أسافر

ومنها إلى كل هذي الدنا

إلى هفهفات المنى

عشتُ طائرْ

سلامٌ عليكِ أيا واحة فاتنهْ

سلام عليكِ إذا ما قربْتِ

إذا ما بعدت

وجاوزْتِ كُلَّ المسافات

والأزمنةْ

سلام عليك تُقُرْتُ[1] .. سلام.

يحدثني شارع النعوي[2] عن ذكرياتِ:

---

[1] تقرت: مدينة الشاعر، تقع في الجنوب الشرقي من الجزائر.

[2] شارع النعوي: أحد الشوارع العتيقة بمدينة الشاعر.

أما زلتَ تذكرُ عهد الطفولهْ

وركضك يا حافي القدمين

بطارهْ[3]

أما زلت تذكر «شايب عاشورهْ»[4]

يُجَمِّعُ بعض الفُتاتِ

---

[3] الطارة: إطار دائري يقوده الأطفال جرياً بسلك معدني.

[4] شايب عاشوره: أيام عاشوراء يلبس طفل لباس شيخ ويسير خلفه الأطفال يغنون أمام مداخل البيوت ليهديهم الناس طعاماً.

أتذكر مستاوة[5]

لعلك ما عدت تعرفها

وما عدت تذكرها

كأن بينكما أيها العاشقان

عداوة

أتسمع دقات ساعة جامعها

تطارد صمت المدينة

تعزف لحن الليالي الحزينة

---

[5] مستاوة:اسم للقصر العتيق لمدينة تقرت.

فمن يا تراه بيومنا.. يسمعها؟

أَتستغْرِبُ اليوم كيف اغتربْنِا

سِراعا

وكيف انتبهْنا

ونخلُ المدينة يرثي المدينة

وكيف انتهى الحبُّ فينا إلى الخاويات

تِباعا

هو النخل يرفض أن يستقيل

وأن ينحني

ولكنَّ ريحَ البلاهة تعصف في حِجْره

هو النخل أقْدَم مِن أنْ يُغَنَّى

على صبره

على ما تَجَدَّدَ من عمره

أو أن يُباعا..

هنا بايعَ النخلَ عصرُ الحنينْ

على سعف النخل دَوْماً نَمَا

مسلكُ الفتح

والفاتحينْ

هي الأرض تهتف في لهفةٍ:

مضى الأولون

مضى خلفهم ما تبقّى

من العبق المترددِ في قهقهات السنينْ

وها نحن يا واحتي

نلُوكُ السؤال:

لماذا مضوا.. لماذا نسينا

وكيف وفيمَ وماذا وأين؟

أطلّي

كما الأمسِ مِن شُرفةِ الباسقاتِ

وغنِّي كما كنتِ دَوْماً

على شاطئ الورد

غنِّي

على مرفإ الذكرياتِ

لتسمعَ كُلُّ العوالم

صوتاً تَشكَّلَ منه

حُداءُ الحُداةِ

أحبكِ والشِّعْرُ يسقي هوايَ

ويكْبُرُ حبكِ

يكبرُ

فرعاً تشرَّبَ عشقَ الجزائر

في كل ذاتٍ..

قصة محزنة

قال لي مَرَّةً صاحبي

لَمْ تَعُدْ قِصتي مُحزِنهْ

أم تُرى غادرَ الحِسُّ فيكُمْ أخي مَوْطِنَهْ

أشتهي..

دمعةً في عُيونِ الذين أُحِبْ

رَجْفةً، طيَّرَتْ كلّ أسْرابِ الكلامْ..

والرؤى الْمُمْكِنَهْ..

لحظةً للصفاء..

ترتمي في شتاء القلوب التي أقفرَتْ..

سَوْسَنهْ

قال لي كُلّ هذي الجراحْ..

واستراحْ..

بَعدَ شَهرٍ.. بَكتْهُ شِفاهُ الذين أحب

وعلى قَبْرِه.. ذاتَ سَهْوِ..

الْتَقَوْا،

خَلَّفُوا دمعةً.. وَصدَى قَولِهِمْ:

إنها.. قصةٌ مُحزنهْ.

مدارات الهوى

كالبسمة الخجْلىَ كَسِحْرِ قـصيدةٍ

حضَرتْ قُبيْل حضورها نفحاتُهـا

فإذا الهوى لغـةٌ لهـا وإذا الحَيـا

وبراءةٌ دونَ الـصفات صـفاتُها

وإذا العبارةُ في شـتاء شـفاهها

رَجْفَى تَجَمَّـدَ لحنُهـا وثباتُهـا

قد كنتُ أدفن في السكوت مشاعري

زمناً وسلوى مهجـــتي مأســـاتُها

أرضَى بصوتكَ ما تردّدَ في المـــدى

بقـــصائدٍ لم تغْـــنِني كلماتُهــــا

أغْفُـــو فـــأحلمُ أنـــي.. لكـــنني

أصحو فأحلم أنني.. هـــي ذاتُهـــا

هوجاءُ عاصفةٌ مـــداراتُ الهـــوى

عامان تـــبْلعُني سُـــدىً عتماتُهـــا

واليوم أرفض أن أظـــلَّ قـــصيدةً

مَنْـــسِيَّةً لم تـــستشرِكْ رُفاتُهـــا

قُلها لِترْفــل في الربيــع مــواسمي

وتغوصَ في أصل الفــؤاد نَواهـــا

أنا يا جميلةُ ما هَويْتُ سِوَى الــتي

قــد جَمَّعَــتْني بِالْوَفــا أشــتاتُها

ما زلتُ أرسمهــا بعيْنَــيَّ طفلــةً

كالجدول الجاري صَفَتْ خلجاها

ما زلتُ أشعُرُها تعَرْبدُ في دمــي

تفْــتكُّني في نــشوةٍ كاســاها

ما زلْتُ، ما زالتْ خيالاً جامحــاً

نسماها.. خِصْلاها.. ضــحكاها

هي لا تُبَــدِّدُها الريــاح كغيمــةٍ

صَــيْفيَّة، تقْتادُهــا نَزَواتُهــا

هي ذلك الحُسْنُ الــبريءُ مُــسَيَّجاً

برُؤَى العفاف وللعفــافِ ســماها

أبَداً ســأَرْقُبُ كالحيــاة ربيعَهــا

مَهْما تَوارَتْ مِنْ شِــتاً نَــسَماها

هــذا جــوابي يــا جميلــة إنــي

سافرت يَحْــدوني لهــا ميقاتُهــا

وخَرقْتُ كلَّ سفينة بعــدي، ومــا

أرجو نجــاةً إنْ طَغــتْ موجاتُهــا

نهر على كثبان

بـــيْن المـــسافة والمـــسافة رحلـــةٌ

مجهولـــــةٌ ومعـــــالمٌ تتبَـــــدَّدُ

بين المـــسافة والمـــسافة يـــا أنـــا

فِيمَ الضياعُ وفيمَ عمـــري يخمـــدُ

فِـــيمَ الحقائـــب تحْتَـــسي أيَّامَنـــا

وتخونُنا الـــساعات تُفلتـــها اليـــدُ

وَخْدِي تَصُوغُ الريحُ أخْـــيلتي يـــداً

ممـــــدودةً وزنابقـــــاً تَتَـــــأوَّدُ

ومدينةً تَخْـــضَرُّ فيهـــا خطـــوتي

فَيُبَرْعِمُ الأملُ الكَـــسيرُ وينْـــضُدُ

حتى إذا صفعَ النـــهارُ مَخـــايلي

وإذا مُنَايَ بِسَيْلِ عُمْـــري جَلْمَـــدُ

أدركْتُ أَنَّ خرائطـــي أكذوبـــةٌ

نهرٌ على الكثبان-وهْمـــاً- يَرْفـــدُ

طَيْفٌ على الشرفات أَوْمَأَ باســـماً

فـــإذا الـــضبابُ يُزيحُـــهُ ويُبَـــدِّدُ

يا غربتي أَتُرَايَ أرتــشفُ الْمَـسَا

يَوْمــاً وغــيْمَ جبينِــهِ أتوَسَّــدُ؟

أمْ أصبحَتْ رتقاً جراحُ قـصائدي

ومراكبي ونجومُ لَيْلِـي الــسُّهَّدُ؟

هي أحرفٌ بلهاءُ يعــصِرُها الأسَــى

أُنْــسُ المــسافر دربُــهُ المترصــدُ

صفراءُ قدْ مَصَّ المــدى أوراقَهــا

فتناثرتْ فــوق الــدفاتر تَخْلُــدُ

لا تقرؤوهـــا.. إنهـــا معزوفـــةٌ

من كل قلـــبٍ بالحقيقـــة يَــشْرُدُ

في طريقهما

أشترك في هذه القصيدة مع
الشاعر الصديق عمر بن طويلة،
البيت الأول لي والثاني له
وهكذا..
كتبت ونحن في سفر.

ماذا ستكتبُ في الهوى كلمـــاتي

والحـــبُّ يأسِـــرُ ريـــشتي ودواتي

ماذا ستكتب فوقها أوراق مَنْ

صبغَ الحياةَ بصبْغةِ الأنَّاتِ

أأقول أهواها وقلبي في يدي

وردٌ ذوَى بمرارة الخيبات؟

أوَّاهُ.. هذا الشوقُ يعزفُ لحْنَه

مترنِّحاً.. مُستوْحِشَ النُّوتات

والحشْرَجاتُ تملَّكَتْ أصواته

مِنْ بعدِ ما خنقَتْ هنا أصواتي

أأقول أهواها وقد فتح الزما

نُ نوافذ الآلام والحسراتِ؟

وتداعَتِ العثــراتُ في درْبٍ بـــدأْ

كيْ ينتـــهي بمحطـــة العثَــرات

وأنا المـــسافر والْمرافـــق وجْهُهـــا

وحقـــائبي مَـــلأى بحُلْـــمٍ آتِ

إني أرى في يقظـــتي بـــسمَاتِها

تنْسابُ تزرعُ في فمـــي البـــسماتِ

وأرى السعادة نفحةً من روحهـــا

تغشَى الكيانَ بـــأعْبق الـــصَّلَواتِ

وأرَى الربيعَ على يَـــديْها مُورِقـــاً

ومُطَـــرَّزاً بِلَطـــائفِ النـــسَمات

هي رحلةُ البحَّار في لُجَج السُّؤَا

لِ، شراعُهُ صبرٌ وبعْضُ أنَاةِ

أتُرَاهُ يَبْلُغُ مُنتهَى أحلامِهِ

أم منْتهَاهُ بشاطئِ اللعَناتِ؟

متشاغلاً بالحُلْم يَرْتقُ حُبَّهُ

ويُعَلِّقُ الذكرى بِباب الذاتِ

يا عِطرَها المبْثوثَ في ثوب الدُّنَا

يا سِحْرَها المَنفوثَ في الأوقات

رِفْقاً بِمَنْ لَبِسَ الحنينَ مشاعراً

عذراءَ تلْهُو في رُبَى الجَنَّات

وأتـــاكِ ينثُـــرُ في مَـــداكِ نجومَـــه

والليـــلُ إِثْـــرَهُ نـــاقِمُ الخطـــوات

فلتَجْمَعي ما انْهارَ مِـــنْ وِجْدانِـــه

لا تتْرُكيـــهِ بقِمَّـــةِ المأســـاة

أأقول أهواها.. وها لغتي انتـــهتْ

في المُبْتدا، وتجابَنَـــتْ كلمـــاتي؟؟

سأقول أهواها.. وأرسِـــلُ آيـــتي

قلباً يطـــوفُ بكعبـــة الأبيـــات

رسول الهدى

عَبيرَ الـــسِّيرة الـــسَّمحاءِ عَطِّـــرْ

رُبُوعَ الكَـــوْنِ أَقْرِئْهَـــا الـــسَّلامَا

وَذَكِّـــرْ بالهُـــدى المختـــارِ طَـــهَ

رَسُـــولاً بالهُـــدى قَـــادَ الأنَامـــا

يَتيمـــاً أيُّهـــا الـــدنيا تَربَّـــى

غَريبـــاً بَـــيْنَ هامَـــاتٍ تَـــسَامَى

رَعَتْهُ يَدُ الإلـهِ، هُـوَ الأمـينُ
هُوَ المَـصْدوقُ فِعْـلاً أوْ كَلامـا
كريمُ الأَصْلِ مَـشْهودُ الـسَّجايا
عزيزُ النفسِ لا، لَمْ يُخْـنِ هَامَـا
صَـفِيُّ اللهِ، حَمَّلَـهُ صَـبَاحاً
يُنيرُ الأرضَ يَـسْتَجْلي الظلامـا
كِتَابـاً يَرفـعُ الـدنيا ويَهـدي
ويَكْـسُوها الـسلامَةَ والـسَّلاما
وَراحَ المُـصطَفَى يَـبْني سَـفِيناً
رَماها المـوجُ أنْقاضـاً حُطامـا

بِبَحْرٍ مِنْ ظَــلامِ الــشرِّ يَمــضي
بِنُورِ الحــق يَــسْتهْدي الخَــصاما
لَــهُ لِلرَّحْمَــةِ المُثْلَــى احْتكَــامٌ
رفيقٌ بِــالأُلَى حَفِظُــوا الــذِّماما
وَسَــيْفٌ صــارِمٌ لا يَــسْتَكِينُ
إذا لَقِــيَ الــضَّلالةَ وَالحَرامــا
رسولَ اللهِ كَمْ نَــشْكُو شُــروراً
تُمَزِّقُنــا وتُغْرِقُنــا انْقِــساما
حَيِيٌّ أنْ أقولَ هَــوَى الْمُــصَلَّى
بِأَيْــدٍ قادَهــا حِقْــدٌ تَعَــامَى

حَيِّ أنْ أَقُول غَـدًا حِمَانـا

مُباحاً، مَطْمَعاً.. يُغْري اللِّئامَـا

رَبَطْنَا الخَيلَ، أَلْقَيْنَـا السُّيُوفَ

وَأُبْـدِلْنَا الأغـانِيَ والسَّلاما

وَلَوْلاَ فِتْيـةٌ فِي القُـدسِ قَـامُوا

وفي بغـدادَ مَـنْ لَبَّـى وقَامـا

لَقيـلَ بِـأُمَّتِي: مَـاتَ الإبـاءُ

غَدَتْ أرحامُها الأسْـخَى عقامـا

رسولَ الله كَـمْ نَفْـنَى اشْـتياقاً

لِلُقْيـاكُمْ ونَـزدادُ اضْـطِراما

حبيــبَ اللهِ كَــمْ نَرجُــو لِقــاءً
بِكُمْ في جَنَّــةِ الفِــردوس دَامَــا
عليكَ صــلاةُ رَبِّــي يــا حَبيبــاً
أَتَــى الــدنيا فَعَلَّمَهَــا النظامــا
تَقَبَّــلْ دَفْقَــةَ الأشــواقِ مِنِّــي
وَعُذْراً سَيِّدي.. عــذراً إذا مَــا..
قَعَدْتُ وَرَاحَــتِ الأيــامُ تَعْــدُو
تُــسابِقُني هُنــا عامــاً.. فعامــا

سفر

أضاءتْ نجمةٌ والفجــرَ، سَــلّتْ

خيوطَ النور مــن فــك الظــلامِ

وألقتْ ما تَخلّــى مِــن بقايــا الـ

ــدُّجَى فتناثرتْ سُقُفُ الرُّخَــامِ

أضاءتْ والمَــدى إكليــلُ نــارٍ

علــى رأس الزبانيــة الطَّغــامِ

تسامَتْ لا الحيـــاة لهـــا انتـــهاءٌ

ولا الرُّجْعَـــى بِمُجْزِعـــة العِظـــامِ

تسامتْ ليْتنـــا يـــا نحـــن نَرْقَـــى

نخيلَ الْعِزِّ لا قـــصبَ «الـــسلام»

إفضاءات إلى صاحب الحزن

وها أنت في الموت حَيٌّ

وفي الحي مَيْتٌ

تموت لتحيا

وتحيا.. تموتُ

غداً يُزْهِرُ العمرُ.. قدْ

غداً يضحك الدربُ.. قدْ

..وقد يحتسيك السكوتُ.

ويا صاحب الحزن هذا الذي

تراهُ بعيْني يُضيء ويَخْبُو

وذاك الحَمامُ الذي

لم يُغَنِّ

على الدوحة المشتهاةِ

كَكُلِّ صباح

تأوَّلتُ تأويلَه

ما استجابتْ شِفاهُ اللغاتِ

وقد أخطأتْني النعوتُ

ويا صاحب الحزن ماذا؟

أنا الراحلُ / المستقرُّ،

المُدانُ / البريءُ،

الحبيسُ / الطليقُ

فأين المفرُّ؟

أحاولُ أَنْ أستعيدَ خُطايَ

وأن أجْرحَ الليلَ

كي تستفيق دِمَايَ

أحاول أنْ أخبِزَ الحرفَ مِنْ أنْمُلي

لأُطْعِمَ ذا مسغبهْ

وأسقيَ كالنهر مِن راحتِي

كلَّ ذي مقربهْ

ولكنَّما عبثاً كالغريب

أشُدُّ مَدَايَ..

ولا مستقرُّ

ويا صاحب الحزن ماذا؟

البلاد التي عشتَ فيها

تُرَتِّقُ عُمْراً

تُشَكِّلُهُ من خلايا قصيدهْ

وتُهدي إليها

عراجينَ شوقٍ

مُعذّقةً بالأماني

بساتينَ فُلٍّ ونخْلاتِ عشقٍ

يَقفْنَ على ضفّة المستحيل

يُمَشِّطْنَ خِصْلاتِ شِعْرِكَ في وجه كل

الرياح العنيدهْ

بلادٌ تُحبُّكَ لكنْ..

طريداً تَوَسَّلَ حُبَّ طريدَهْ

ويا صاحب الحزن ماذا؟

بذات احتضارٍ

تفرَّقَ صَحْبي

فناديتُ في الركب: يا أيها الراحلون

ولا من وداعِ

هنا الذكريات هنا الأمنيات هنا الْ..

آهِ.. يا جُرْحَ دربي

وقد باتَ بيني وبيني

صراعي،

وذات انتظار..

تساءلتُ: هل صِرْتُ وحدي

وهذا سبيلي

وهذي رُؤَايَ، وذاك يراعي؟

تغرَّبْتَ بعد التفرق لكنْ..

توحدْتَ قلبي.

ويا صاحب الحزن ماذا؟

أفتِّشُ منذ البداية عنها

وعنْ كُلِّ «أيْن» تُسَائلُ عنها

أحادثها كُلَّ شِعْرٍ

أقاسِمُها الأمسَ واليومَ واللحظة

المستحيلَة

أحاول أن أستبينَ لِطَيْفِها كُنْهاً

ويعثرُ بي كُلَّ حُلْمٍ صِباي..

فأجْري..

يسابقني نرجسُ العمر

أجْري..

وأدرك عند الوصول

بأنيَ لا زلتُ كالأمس

أبعَدَ عنها.

ويا صاحبَ الحزن ماذا؟

أما واحةٌ للأملْ؟

أمدد ظِلّيَ فيها

أُريحُني لحظةً مِنْ رحيل تقمصتُه

تقمَّصَني

لَعَلِّيَ أسمعُ يوماً دروبي

تُردِّدُ من مِلْءِ فيها:

أخيراً وصلْ..

أخيراً وصلْ..

أخيراً وصلْ.

ختام الحكايا

لِصَوْتِكِ

هذا الذي لسْتُ أدري

أُسَمِّيهِ سِحْراً..

أُسَمِّيه عِطْراً..

ندىً قد تَسَلَّلَ والنسماتِ

بساعةِ فجْرٍ..

لِصَوتكِ.. آهٍ لصوتكِ..

أيغْدُو لصوتكِ عزفُ الربيع

على ذبذبات الوجود الـ.. مُعنَّى

فيَخْضَرُّ سَمْعُه كالأمنياتِ

بقلبٍ توَسَّدَ وعْدَ حبيبٍ

فباتَ يُهَدْهِدُهُ

مثل مَهْدِ رضيعٍ

لصوتِكِ في أُذنِ هذا الوحيدِ

صدىً قد تَرَدَّدَ

من شهرزادٍ

إذا شهريارٌ أصاخَ استماعاً

وتمضي الدقائق، كالحُلمِ تمضي

..ويبقى صدى صوتِكِ المستبدِّ

بسمع الوحيدِ..

تُراكِ استطعْتِ اختراقَ المرايا

قراءةَ كُلِّ التفاصيل عني؟

تُراكِ اختزلتِ سنينَ الضياع..

وجئتِ

تُجيدين عزفي

وسحبَ مفاتيح شِعريَ مِنِّي؟

تراكِ، تراكِ، تراكِ..

ولكنَّ صوتكَ يبقى..

ختامَ الحكايا.

عاشق الجمال

عاشقاً للجَمالِ والحُسْن يمضي
لِلْحياةِ وقلبُهُ بيَدَيْهِ
بانياً في صَميمِهِ قصْرَ حُبٍّ
دافئٍ في الشتاء يَأوي إليْهِ
لَمْ يَزَلْ فيه وَحْدَهُ مُستجيباً
لِصداهُ إذِ اعْتَرَى أذنيْهِ

كُلُّ شيْءٍ يَلُــوحُ مِثْــلَ الجليــدِ

بـــارداً والجُمُـــودُ رانَ عليْـــهِ

عـــاشَ يَرْسُـــمُ للربيــعِ الْمُحَيَّـــا

منْ دماهُ، والحُلْـــمُ ينمـــو لديْـــهِ

آمــــلاً أنْ يــــذوبَ ذاك الجليـــدُ

وَتَحُـــطُّ الطيـــورُ في راحتَيْـــهِ

أكَـــثيرٌ عليْـــه أَنْ يتمَنَّـــى

أن تعُـــودَ الحيـــاةُ في شَـــفتَيْهِ؟

أَوْ ترفْـــرفَ كـــالفراش الأمـــاني

في سَـــمَاهُ وتعْتَـــري ناظرِيْـــه؟

غرابة شاعر

لا شَيْءَ أغربُ مِنْ غرابة شاعرٍ

متورِّطٍ في الصبر

في لغة الترَجِّي الْمُزْمِنَهْ

لا شيءَ أغربُ منه

حين يدخلُ جنةً للحرف

نفسَه ظالما

هلكَ الذين تقدَّموا

وتقدَّما

ضَاعُوا.. فَعُدْ

لكنه لم يلق ذي الأبعاد إلا سُلَّمَا

لا شيءَ أغربُ منه

يسْتَرقُ الجمالَ مِنَ الزهور النائمَةْ

يستنطق الجرحَ

ويستعير من الغروب

مبررات المنتهَى

كيْ يبْتدي غَدُه

وترقصَ مِنْ جديدٍ روحُهُ المتَرَنِّمَهْ

لا شَيْءَ أغربُ منه

يحفظ كالرمال حديثَ قافلةٍ

ضلّتْ

غَداةَ تنكَّرَتْ لِمَواطِئِ الأقدامِ

وتوَهَّمَتْ

أنَّ السبيلَ مراكِبٌ غَرْقَى

ومَوجُ الرمل

سِرٌّ لِلحطامِ

تَاهَتْ

ولَمَّا اسْتَيْأَسَتْ

عادتْ إلى صفحات ذات الرمل

تَقْفُو الخُطَى

والرملُ دَلاَّلُ السلامِ

لا شيء أغربُ منه

إلا روحه الجذلَى كأسراب الحمامِ

ترفرف عالياً

تخْتطُّ في الأفق الرحيب مَعالماً للحب

مساحةً للحُسن

وخريطةً لم تنكمش

لطريق مَنْ وُجدوا للاستسلامِ.

بغداد والسامري

هي ذي خيالاتٌ تــسَلَّلَ ظِلُّهَــا
للجنَّتيْن ونهْرُنــا لا مــا انعطــفْ
أقدامُ مَنْ هذي التي وفدَتْ وقــدْ
نُثِرَ الجَمالُ على عيونكِ فــائْتلَفْ
بغدادُ صــبحُكَ آيــةٌ لا تُمَّحــي
مَهْمَا تَأَلَّيَلَ حَالِكٌ مهما اقتــرفْ

بغدادُ هذا الشعرُ زوْرَقنــا الــذي

هَجَرَ الدُّنا وعلى ضفافك يعتكفْ

ما عاد تَكْفيــه اللغـات، وأيُّهـا

تَسَعُ المصيبةَ أيُّها تفدي الـشرفْ؟

قُصِّيهُمُ بغدادُ عن جُنُـبٍ عَـسَى

نلقَى جواباً فالسؤال بنا عَـصَفْ

هُمْ راحلونَ الـسَّامِرِيُّ أَضَـلَّهُمْ

الْعِجْلُ غَايَتُهُمْ إِلَهٌ مِـنْ خَـزَفْ

مَاتَ الأَحِبَّةُ مَاتَ آخِـرُ شـاعِرٍ

وبكى النخيلُ على ظِلالِهِ والسَّعَفْ

ورَثى الفراشُ حدائقاً قد عُلِّقَـــتْ

بعُرَى القلوبِ الرَّاسياتِ على الأسفْ

بغدادُ إني قد ســـألْتُ الْعِـــيرَ مـــا

خَطْبُ الجنانِ اسْتعْذبَتْ موتَ الجيَفْ

هل كان عزمُ الـــراحلين خيانـــةً

أمْ كانَ صمتُ الشاهدينَ أمِ الصُّدَفْ؟

ليْلُ المدينةِ مُـــوحِشٌ، ومـــساؤها

ثَكْلَى تَئِنُّ مِنَ الفـــراقِ وترتجـــفْ

ضاع السؤالُ وضاعَ فيه جوابـــهُ

ضاعتْ حروفُ الأبجديَّة، أعترفْ

هبَّتْ ريــاحُ الطــامعين وراودتْ

نخلَ المدينــةِ ذات لَيْــلٍ مختلــفْ

«دخلَ الغريبُ» تداولتْ أخبارَهـــا

وتقاسَمَتْ أنفاسَــها مليــونُ أُفْ

لا الريحُ تُمْهِلُ وردةً عنــدَ الهبــو

بِ ولا الورودُ عَصِيَّةٌ في المقتَطفْ

يا رحلةَ الأحزانِ يا وَجــعَ الأنـــا

ما كانَ أَعْجَلَكِ اهْتِداماً للــسُّقُفْ

«أنا راحلٌ فَيَدُ الغريبِ تطاولــتْ

ما ضَرَّ بحْراً حينَ سُحْبٌ تنصرِفْ»[6]

وتسَلَّلوا والليلُ يَمــسَحُ دَرْبَهُــمْ

مِنْ خلفِهمْ، والرمْلُ يشربُهُ الأسفْ

---

[6] إشارة إلى القول الذي برر به أول الراحلين عن بغداد خروجه منها، وهو بالعامية المحلية «دار ما أخلت بغداد» أي أن هجرة دار واحدة لا تخلي المدينة. وقد صار هذا القول مثلاً يضرب للتقليل من تأثير شيء على شيء آخر.

طَلَلٌ وماضٍ مــا تَبَقَّــى بعْــدَها

إلا هَوَى سَلَفٍ تَباكَــاهُ الخَلَــفْ

بغــدادُ معــذرةً ســأعْلِنُ أنــي

شاهَدْتُ جرحَكِ مرَّتيْن هنا نَزَفْ

وأفقْتُ يا وَجَعي وفي اليدِ دمعــةٌ

بَكماءُ والشعرُ المَهيضُ المُرْتجِــفْ

وحكايةٌ بتْــراءُ نَــدْفِنُ بعــضَها

في الرمل حتى يُنكِرَ الياءَ الألِــفْ

وروايةٌ عنْ جَنَّــةٍ كانــتْ هنــا

نخلٌ ورُمَّــانٌ وظِــلٌّ قــدْ وَرَفْ

يا شمسَها المسروقةَ الأهــداب يــا

أحلامَها أيَّامَها الــتي لَــمْ تَقــفْ

هُـمْ ضَيَّعُوكِ غداةَ ســامَرَهُمْ هنــا

كَ السَّامِرِيُّ وحَرَّقوكِ مِنَ الصَّلفْ

هُـمْ ضَيَّعُوكِ لأَنَّهُــمْ لَــمْ يَعرفــوا

لن يعرفوا مِنْ أينَ تُؤْكَلُ ذي الكتِفْ.[7]

---

[7] بغداد اسم لمدينة تاريخية تقع على بعد 700 كلم جنوب شرقي الجزائر قرب مدينة الشاعر، صارت أطلالاً، وتروي الأسطورة أنها كانت كثيرة الزروع والثمار، وحين اكتشف أحدهم دخول =

= غريب عليهم هجر البلدة بحجة: «دار ما أخلت بغداد» وتبعه كثير حتى خلت المدينة تماماً. وفي النص مقاربة بين ما حدث لبغداد بصحراء الجزائر وبغداد العراق.

مواكب الياسمين

لِلْبَوْحِ أزْمِنَـــةٌ تُباغِـــتُ كـــالفرحْ

ومَواكبٌ مِـــن يـــاسمينٍ مُتَفَـــتِحْ

وأنا الذي هذا المـــساءَ ســـأجْتلي

مِنْ مَرْمَرِ الصمْتِ البيانَ لِيَتَّـــضِحْ

فَدَعِي خيوطَ الحزنِ تنكث غزلَها

ما أضيقَ الزمنَ المـــلازمَ لِلفـــرحْ

الوقتُ في دمِيَ اسْـــتَحَالَ فراشَـــةً

بِرُؤاكِ تـــأتزرُ الربيـــعَ وتَتَّـــشِحْ

وعرائسُ الكلماتِ تُمْطِرُ في فمـــي

وَرْداً أَعَرْتُهُ نَبْضَ روحي فانـــشرحْ

كُلُّ العصور تَحَفَّـــزَتْ للملتقَـــى

يا فتنةَ الأزمانِ يا عُمْـــراً سَـــرَحْ

يا بَسْمةَ الـــشطآنِ لِلْغَـــدِ والنَّـــوَا

رِسُ قَبَّلَتْ شمسَ المَغيبِ على فرَحْ

يا واحةً أغفَتْ على زنْدِ الْمَـــسَا

ءِ وأسْلَمَتْهُ روحَها مِـــسْكاً نَفَـــحْ

ما عادَ في سِرْبِ الكـــلام بقيَّـــةٌ

ما طار طارَ وغيْرَهُ صـــمتي ذبـــحْ

فَتأهَّبي لِمَوَاكِـــبِ الْبَـــوْحِ الـــتي

سارتْ إليكِ.. دليلها قوسُ الْقُزَحْ

لقاء «افتراضي»

التقيا بعد خمسة عشر عاماً

فكان هذا الحوار..

هي:

..وماذا عنكَ مِنْ بَعْدِ الغيـــابِ

وصُفرَةِ عُمْرِنـــا في الاغتـــرابِ

وَوَحْشةِ دَرْبنــا منْــذ افترقنــا
تُجَمِّعُنَا مَحَطــاتُ العــذابِ؟
هنا ذكرى.. هنا شَجَنٌ.. هناك الْ
تَقَيْنــا واسْــتبَقْنا للعتــابِ
بذاك الشارع الممتــد ســرنا
ندىً متحاوراً وذُرَى الــروابي
أمَازِلْتَ الفتيَ الْمُخْضَرَّ شَــوْقاً
إلى حُضْنِ الحياة إلى الرِّحَــابِ
تُشَكِّلُ حُلْمَكَ الْمَجْنُونَ عُــشًّا
لِتَسْكُنَهُ على هُدْبِ السَّحابِ؟

وشِعْرُكَ.. يا لِشِعرِكَ هلْ تَحَلــىً
بغَيْر اسْمي وَعَرْبَدَ في غيــابي؟
أنا يا شاعري ما زلــتُ أحْيــا
على مَجْرَى قصائدكَ العــذابِ
وأضبِطُ ساعتي كالأمس دَوْمــاً
على وَعْدٍ تَــأخَّرَ في الإيــابِ
أُحادثُ خاتماً أو مِشْطَ شَــعْرٍ
أبُثُّهما لِحِــينٍ بعــضَ مــا بي
أجُسُّ خَوَافقَ اللحظاتِ شَــوقاً
لعلَّكَ في المَنــامِ تَــدُقُّ بــابي

هو:

لِوَجْهِكِ صورةٌ في كــل حـــيٍّ

ومقهًى أَوْ قصيدةٍ أَوْ كتـــابِ

جريدتِي اسْتحالتْ شُرْفةً تُــو

مِــئينَ إليَّ مِنْهَـــا كالـــسَّرابِ

تعيشين اكْتِئَابـــاً في انتظـــاري

وأحْيا في انتظارِكِ في اكتئـــابِ

أُفَتِّشُ عنكِ في ســفرٍ طويـــلٍ

إلى المجهـــولِ في أمَـــلٍ يَبَـــابِ

وفي كُلِّ العُيونِ زَرَعْتُ سُـــؤْلاً

وعُدْتُ كما الغريب بِلاَ جوابِ

وها نَحْنُ الْتقَيْنا بَعْــدَ عُمْــرٍ

سَـــفَكْناهُ بِمِحــراب التَّـــصابي

كأنَّا مــا افترقْنـــا غَيْــرَ أنَّـــا

مُحَالٌ نَسْتعيدُ دِمَـــا الـــشبابِ

مجمع الجرحين

إلى الصديق الشاعر أحمد المعرسي

العمر أَخرجَ شطْأَهُ

والدرب أَنْهَكَهُ العبور

لا ظِلَّ لا ماء

ومَجْمعُ الجرحين أوشكَ أن يثور

تَمْرُ المسافة مشخنٌ بالملح

وأنا وأنت ووحدنا

عَبَثاً نحاول أن نذود

لنرتوي

والليل يحتكر الصدور

الآن أذكُرُ قصةَ الأمس القريبْ

كنا صغاراً

لا نَطِيشُ ولا نُصِيبْ

والعالَمُ المهموم خلف حقولنا

متورطٌ في الانتظار

كما الغريب

نلهو.. أجلْ

نبكي.. أجلْ

لكنَّ ليل مدينة الأحلام

يكفي كَيْ يبدِّدَ حزنَنا

عند المغيب

يا شعرُ يا لغةَ المواجعْ

ماذا يغني شاعرٌ

قد نادمَتْه مدى القصائدِ

كُلُّ ألوانِ الفواجعْ؟

ها أنت تأخذ كُلَّ حِينٍ من دمي

المسفوح

في حرفٍ تَوَهَّجَ

كي يضيء بنُوره

كُلُّ القناديل التي باتتْ

رهينةَ ما تَجُودُ به الطوالعْ

يا شعرُ والزمن استدارَ لِيَنْحَني

ما يغني شاعرٌ

مِن سُوءِ حظه حين يَقتلُ حزنَه

يحْييه بالتصفيق

جمهورٌ مُتابِعْ؟!!

المحتويات



فهرس المحتويات

تم الانتهاء من طبعه على مطابع دار النعمان للطباعة والنشر والتوزيع في شهر نوفمبر 2007.



الشاعر محمد الأخضر سعداوي من مواليد مارس 1975 بتقرت ولاية ورقلة، بالجنوب الجزائري؛ وهو أستاذ في الأدب العربي.
نال الجائزة الأولى في مسابقة الطلاب العرب للشعر بليبيا سنة 2006؛ وصدر له ديوان بعنوان «صرخة الميلاد».

للبوح أزمنة تباغت كالفرح
ومواكب من ياسمين منفتح
وأنا الذي هذا المساء سأجتلي
من مرمر الصمت البيان
فدعي خيوط الحزن تنكث غزلها
ما أضيق الزمن الملازم
م



9789947220443



منشورات السائحي
ص.ب: 552 القبة - الجزائر
هاتف/فاكس: 86 80 29 21 (213)
محمول: 55 97 19 70 (213)
بريد إلكتروني: Msaihi_publisher@hotmail.com